سمعت.. وتعجبت.. وتمنيت

"لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"، صدق رسول الله.. فالحب صانع المعجزات، ولو تكلّمنا عنه، لعجز القلم، ونفدت الكلمات فبه تصفو القلوب، وتذوب الفوارق، وتبنى الشعوب.

لو أحبّ كلٌّ منّا بلده مثل ما نحبّ أنفسنا في كثير من الأمور، لارتقى الشعب إلى أرفع الدرجات، وأعلى المستويات.

حكى لي أحد الأصدقاء، أنّه بينما كان يركب الأتوبيس في لندن، جلست بجانبه فتاة، ومرت عليهما محطة واثنتان ولم ير محصلًا لتذاكر الأتوبيس، فظنّ أنّ هناك طريقة أخرى لدفع ثمن تذاكر الركوب، أو أنّها تدفع بطريقة آلية، أو ما شابه ذلك ممّا هو متبع في ألمانيا، وبعض البلاد الأوروبية، وظلّ في حيرة لا يعرف كيف يتصرف في مثل هذه الأحوال؟ ثمّ همّت الفتاة من مكانها للنزول في محطتها المنتظرة، ففتحت حقيبتها وأخرجت بعض النقود، فتابعها صديقي بنظراته ليعرف ما سوف تفعل، وكيفية

التصرف لدفع ثمن تذكرة الركوب، لكنّه فوجئ بأنّها تقدّم له ثمن تذكرتها، وتقول له:

- من فضلك أعط هذا المبلغ للكمساري إن لم يكن لديك مانع، وانصرفت فنادى عليها:
- هل هناك محصل؟ قالت:
- نعم وسوف يمرّ عليك بعد دقائق بعدما يفرغ من تحصيل النقود من الطابق الأعلى.

وبعد لحظات عرف الصديق أنّ المحصل بالدور الأعلى وفي طريقه إليه، وليس الدفع آليًا حسب ظنّه عقب سماعي هذه القصة دار حوار في نفسي تمنيت أن نكون جميعًا على هذا القدر من الأمانة والوطنية في بلادنا.

عظمة الأمم وليدة أمانة أفرادها، أعجبني سرد القصة من الصديق، وأخلاقيات الفتاة، وما زال السؤال يراودني:

"يا ترى.. هل كان للصديق أخلاق مثل أخلاق الفتاة وقام بتوصيل الأمانة إلى الكمساري!"